أدونيس «في كتاب الغرب» رؤية كونية لموقع العرب

لا تجابه العولمة بعزلة السجين وإنما تجابه بالإبداع والحرية

إسماعيل مروة

«أنجز الغرب الأوروبي – الأميركي ثلاث ثورات علمية– تقنية توجّه القرن الحادي والعشرين وتخلع عليه طابعها، الثورة الكمية التي أدت إلى التحكم في المادة وإلى نشوء أشكال للحياة نفسها تعرف للمرة الأولى وهي ثورة أنهت على صعيدها الخاص المعرفة اليونانية، الثورة الإلكترونية التي أسست لعالم معرفي جديد، الثورة الحيوية– الجزيئية (البيو – تقنية) وهي التي أخذت تتحكم الآن في الحياة نفسها»!

هذه كلمات وضعها أدونيس المفكر والشاعر والمهموم بالإنسان العربي على غلاف كتابه الأحدث صدوراً (كتاب الغرب) والصادر في دمشق عن دار التكوين، وهو جزء من مقال موجود في الداخل.

الغرب والعرب

طرحت مؤلفات ومقالات كثيرة منذ بدء العولمة عن الغرب والعرب والعلاقة التي تربط بينهما، وقد كتب عرب كثيرون عن العالم الغربي وأطماعه ومؤامراته دون أن يكون لديهم أي صلة أو مساس بالغرب وآلياته ومثقفيه، وحين يقوم مفكر بحجم أدونيس بكتابة كتاب عن الغرب، فهو بحاجة لقراءة، والشاعر قضى من تسعينه من الأعوام ما يزيد على النصف في الغرب يحاور ويناقش، وينقل إلينا ما يجب فعله سواء قمنا بالاستماع إليه وقراءته، أم قمنا بشتمه واتهامه بالتغريب، والدعوة للخلاص من الماضي! وفي كل حال، فإن أي متابع للشأن العربي والعام اليوم يمكن أن يرى ما رآه أدونيس بالعين المجردة، ولكنه يتمتع، أي القارئ العادي، بخصيصتين الأولى عدم معرفة الغرب في دقائقه، والثانية الانصياع لما ألفى عليه الآباء، وعدم الرغبة في التغيير، لا لشيء إلا لأنه عاجز عن فعل ذلك، وعاجز عن المواكبة في عالم تسود فيه ثقافة أمية، وأنصاف مثقفين، ومتمترسون في أماكن لا يغادرونها.

وهذا الكتاب يستحق منا القراءة المتمعنة قبل تصنيفه، فهو نتيجة حياة وإقامة ونقاش في الغرب الأوروبي– الأميركي، ومحاولة لتقديم مجموعات من الرؤى المتقدمة لمفكر تحلل في المنطق من التأثيرات الداخلية، واحتفظ بفرديته أينما حلّ وارتحل، لذلك ملك القدرة والجرأة على قول ما يقول غير عابئ بالرضا والسخط، ولننظر في القطعة ذاتها التي تحدث فيها عن الثورات التي فرضها الغرب، فهو وبشكل مباشر نظر إلى الواقع العربي، وقام بتشخيصه، ولم يشارك العرب في أي ثورة من هذه الثورات– الحياة العربية– اقتصاداً وثقافة وسياسة هي برمتها نتاج عربي– وقد بدأ الغرب الأميركي– الأوروبي بإعادة إنتاج الدين نفسه، سياسياً وثورياً.

ويمكن وصف حالة الشعوب العربية اليوم، بأنها لا تزال، منذ أربعة عشر قرناً، حالة أطفال يعيشون في بلدان ليست إلا دور حضانة تسهر عليها السياسة الدينية، تربية وتعليماً.. وفي هذا ما يفسر سبات (الثبات) العربي ويفسر أن ما يتغير في دور الحضانة هذه هو المعلم وحده.. وهو ما يفسر أيضاً أن ما يسمى بالمعارضة العربية ليس إلا قفا الصفحة الحاكمة!

هل بإمكاننا أن نتجاهل مثل هذا الكلام؟ وهل يكون قائله داعياً إلى التغريب؟ من المؤكد أن الوعي الأدونيسي هنا، وفي مراحله المتعددة هو أعلى من المتوقع، وقد يكون أعلى من المقبول، وقد يكون أكثر جرأة وإيلاماً من الجراحات نفسها!

نحن والغرب والخصوصية

يدّعي كثيرون الخصوصية والابتعاد عن الغرب والتميز، وهذا الكلام غير صحيح على الإطلاق، ودون أن يشير إليه أدونيس، ولكن حدده بالثورات الثلاث التي استطاعت أن تجعل العربي يدور في كل شأن من شؤون حياته ضمن الفلك الغربي، فهو يأكل ويتاجر ويفكر ويسوس بأدوات غربية خالصة، وليس بأدوات عربية كما يزعم الكثيرون، ولعلّ ما جعلني أقف عند هذه النقطة، أخطر ما فيها بأن الغرب يعيد اليوم إنتاج الدين، ومن يدّعي عكس ذلك فهو مكابر أو جاهل، فالدين بعد أن عجزنا نحن عن فهمه وإصلاح فهمنا له، ليكون ناظماً لحياتنا، جاء من يفكر عنا، وينطق بلساننا، ليخترع لنا الفهم الديني كما يراه هو، وكما يناسب مصالحه وثرواته، ورغبته في التحكم بكل شيء من العالم، خاصة مع الإشارة الذكية من أدونيس من أن العرب لم يشاركوا بأي ثورة من هذه الثورات الثلاث! وكيف يشارك أطفال الحضانة في صنع الثورة والحضارة؟!

اليوم يقدم أدونيس في هذا الكتاب المهم فرصة للقارئ العربي، وللمعني بشؤون العرب لمراجعة القضايا التي أسهمت إسهاماً كبيراً في تردي الحالة العربية، وعدم جدوى التحركات التي نراها، حتى ما أطلق عليه (الربيع العربي) فإن لأدونيس رأياً آخر فيه، فكل من يتصدى للمعارضة العربية هو بتعبير أدونيس (فقا) الحاكمة!! وهذا ليس افتراء، فالدول التي انهارت الطبقة الحاكمة فيها جاءت معارضات هي أسوأ من السابق، وذلك طبيعي، لأن الفقا لا يصل لمرتبة الوجه.. ونحن من خبرتنا في سورية ربما أدركنا أن ما يسمى بالمعارضة لا يفكر إلا في السلطة، وهو إما كان في السلطة، بل الجزء الأكثر سوءاً فيها ويريد أن يعود، أو إنه مستنصب يبحث عن السلطة وامتيازاتها.. ودون أن يصرح في هذه القطعة، وإن أشار.. غاب العرب عن كل الثورات واكتفوا بدور المنفعل، وإن أردنا دوراً حضارياً يجب أن نكون فاعلين حضاريين، ونستثمر في الفكر والعلم.. وإلا سننفرغ على قول أدونيس في مكان آخر.. وعودة إلى الكتاب من جديد.

محتواه وتصنيفه

في إشارة أول الكتاب يقول أدونيس (المقالات والشذرات والتأملات والخواطر التي كتبتها بين ١٩٧١– ٢٠٢٠ والتي يضمها هذا الكتاب عمل بالغ الأهمية، على مستوى الرؤية والاختيار، خصوصاً عندما يقرن بالأحداث الراهنة في العالم العربي) نحن أمام خمسين عاماً من تجربة أدونيس وتأملاته خلال تنقلاته، وهذه التأملات تنشر للمرة الأولى باستثناء القصيدة الأولى عن نيويورك التي وضعت لأهميتها وما فيها من رؤية، وعندما يصرح أدونيس بالأهمية، فهذا يعني وجود أهمية، وإرهاصات قيلت بين هذين التاريخين لم يلتفت إليها أحد! وربما حورب أدونيس بسببها!

كتاب قارب ٩٠٠ صفحة من القطع الكبير، وبخط منمنم صغير، ويحتوي رحلة تستمر عشرين عاماً من الصعب أن يتم اختصارها، وأدونيس كتبه لتعرف كيف يرانا الغرب، وما صورتنا عنده، بل كتبه ليعلمنا آليات تفكير الغرب، لعلنا نتعلم ونغير في طرائق تفكيرنا، كتبه لينتقد أساليب حياتنا البدائية والقبلية والحزبية والمناطقية والمذهبية والطائفية، وأظن أن هذه الأغراض لا يمكن تلخيصها، عدا صعوبة التلخيص، هناك ضرورة، فعبارة أدونيس مكثفة وصعبة ومختصرة، ويجب أن نقرأ هذا الكتاب كما لم نقرأ كتاباً من قبل، وأن نقرأ أدونيس كما لم نقرأ كتبه السابقة، وأظن أن ما وصلنا إليه من التشظي والمرض يؤكد نظرة أدونيس بأننا قادمون إلى الانقراض إن لم نفهم ما يجري حولنا.

علامات وشواهد

لكل لغة مشكلاتها، وفقاً لماضيها وتراثها وحاضرها، ما يهمنا هنا في العالم العربي، هو لغتنا العربية، وعلينا إذاً أن نسأل: هل تزداد لغتنا العربية، في هذا العالم الحديث غنى، أم تزداد على العكس فقراً؟ وهو سؤال يضيء.

الجواب عنه سؤال ينبغي أن ينقدمه، وهو: ما المعرفة التي تنتجها اليوم لغتنا العربية في مختلف الميادين العلمية والفلسفية والأدبية؟ هل هي جديدة، وما هذه الجدة التي تضيفها إلى ما أنتجته سابقاً، وفي مختلف الميادين؟ وفي أي ميدان معرفي يمكن العربي اليوم أن يفكر ويعبر عن فكره بحرية كاملة: الديني، الفلسفي، العلمي، السياسي، الشرعي، الحقوقي، الاجتماعي، الخاص بقضايا المرأة؟ هذا ما يقوله أدونيس عن الواقع الفكري العربي، وحتى لا يظن أحدهم أن أدونيس ينتقد العرب لوجه الانتقاد، فلننظر في الفقرة نفسها لنعرف أن أدونيس يقرأ ويحلل النظام العالمي تجاه الآخر، والعرب من هذا الآخر ولئن دخلنا قليلاً في التفاصيل فسوف نرى أن أوروبا، وخاصة فرنسا وألمانيا، هي الخاسرة الكبرى، تخسر مركزيتها المعرفية، وتصبح تابعة للنظام الأميركي، وهو نظام ينظر إلى العالم بوصفه آخر، تجب السيطرة عليه: العالم بالنسبة لهذا النظام هندي أحمر آخر..

الحاجة اليوم لا إلى ثورة بمعونة من أوروبا، بل إلى ثورة داخل أوروبا لإنقاذ الإنسان فيها.

هذا ما يراه أدونيس وهو الذي عاش في صميم أوروبا وأميركا، وهذه العلامة التي اخترتها مع التقديم تبين أن أدونيس يريد الحياة للإنسان سواء في أوروبا أم المشرق العربي، وهو إن كان ينعى ما يحصل من الأمر في فرنسا وألمانيا، وهما في مصاف الدول الكبرى، ما عساه أن يقول في العالم العربي الذي ينتمي إليه، ولا علاقة له بأي منتوج حضاري ثوري جديد؟! أقول هذا الآن هناك من سيرفض هذا الطرح لمجرد أن قائله هو أدونيس، ولا يدري هذا أو ذاك أن ما يقدمه هو ما قدمه هو سبيل خلاص الأمة مما هي فيه، بما في ذلك الشأن الديني الذي رأينا، ولم تقتنع، ما أخبرنا أدونيس بأن الغرب الأميركي يعمل اليوم على صناعة الدين!!

الغرب يقول

يقول أدونيس في مكان من هذا الكتاب «قلت لصديق أميركي شاعر، في حديث طويل بيننا، نعم أنتم تسيطرون علينا، نعم الغرب يسيطر على الشرق العربي، هذه بالنسبة إلي بداهة مع ذلك، أحب أن أسألك: هل يسيطر عليه بالفن؟ بالشعر؟ بالفلسفة؟ هل يسيطر عليه بالروح؟ بالخصوصية التي تجعل الإنسان إنساناً؟ والجواب هو: كلا، الغرب يسيطر على الشرق العربي بالتقنية، بالقوة والعنف وبالسياسة».

وهذا الحوار بين أدونيس وصديقه الشاعر الأميركي مهم للغاية، فالسيطرة تتم وفق أشياء أخرى، والمشكلة الكبرى برأي أدونيس أننا نحن من يعززها «كيف يمكن ثقافة تحاصرها الرقابة ولا تقدر أن تنتقل حرة في وطنها الواحد داخل هويتها الواحدة، ثقافة مخنوقة، وتعمل ضد حريتها، وضد تاريخها، كيف يمكن ثقافة هذا شأنها، وهذا مستواها أن تواجه العولمة؟ لا تجابه العولمة بعزلة السجين، وإنما تجابه بالإبداع وبالحرية، هل ثمة رابط بين قول أدونيس وقول صديقه الأميركي؟

من المؤكد يوجد رابط مهم، وهو ما أشار إليه الأميركي السيطرة بالتقنية والعنف والسياسة.

ماذا ننتظر؟

أشار أدونيس إلى أن المعارضات العربية قفا الأنظمة الحاكمة، وفرق كبير بين الوجه والقفا، ولكن ما أدهشني حقاً أن قراءة هذا الكتاب عززت شيئاً أعرفه، وأضافت أفكاراً جديدة، فإذا كانت أميركا ترى الأوروبي هندياً أحمر، فماذا ترى العربي؟

إن عمق رؤية أدونيس دوماً ألا نعوّل على الآخر، فالآخر لا يريدنا مثله، لا يريد لنا التحضّر، لا يريد لنا العلم، يريدنا متخلفين هكذا! يريدنا عشائر وقبائل، والحل الوحيد الذي يطرحه المفكرون من وزن أدونيس وأدونيس نفسه هو أن تكون هناك ثورة معرفية ثقافية تنبع من الذات من الداخل، ثورة معرفية لا عنفية، فالثورة العنفية وردها لنا الغرب.. هذه الثورة كفيلة لأوروبا ألا تصبح هندياً أحمر، وبالتالي كفيلة لنا بأن نكون مختلفين.

«كتاب الغرب» الصادر في دار التكوين دمشق، كتاب من الأهمية بمكان، ولا أغالي إن قلت إنه حب أدونيس لوطنه، وفقر أدونيس وعصارته بعد كل هذه الحياة.. فلتبدأ رحلة المراجعة لثورة معرفية ثقافية عربية حتى لا ننقرض.

> تأخذني المرآة في اتجاه...
> تأخذني خطواتي في اتجاه آخر أنشطر وأتجزأ

بعيداً عن الشائعات.. «الكندوش» مستمر بإدارة سمير حسين

سارة سلامة

تناقلت بعض مواقع التواصل الاجتماعي، إشاعة خاطئة تفيد بنشوب خلاف بين المشرف التنفيذي على مسلسل «الكندوش» أيمن رضا، ومخرج العمل سمير حسين، ما أدى لاستبعاد حسين واستبداله بمخرج آخر.

وهذا ما نفته الشركة المنتجة في بيان صحفي، مؤكدة بأن العمليات الفنية لمسلسل «الكندوش» تسير على قدم وساق وضمن الخطة المقترحة، والروّى المتفق عليها، وقد نفّذ الفريق قسطاً يسيراً من عمليات التصوير، وهم حالياً في طور الانتقال من مدينة الإنتاج في منطقة الدير علي، إلى أحياء الشام القديمة وبيوتها، حيث من المفترض أن تعاود كاميرا المخرج المبدع سمير حسين الدوران خلال الأربع وعشرين ساعة القادمة. وتابعت الشركة: إن تناول المسلسل بهذه الأخبار الملفقة والشائعات المغرضة بسبب ما حققه من حضور إعلامي جذاب، وسيطرة واضحة في الحالة التمهيدية التي ترافق التصوير وتسبق التسويق، ونتيجة واضحة للاستسهال في نشر الأخبار الصحفية من دون تقصيّ ودقة، أو احتكام للضمير المهني الحر.

كما لفت مدير عام mb إلى أن القسم القانوني في الشركة يستعد لرفع دعاوى قضائية ضد كل المواقع، والصفحات التي تنشر معلومات مسيئة من شأنها الضرر بالمسلسل والمصلحة العامة للدراما السورية.

كما بيّن المخرج سمير حسين أن خبر اعتذاره عن مسلسل الكندوش ليس له أساس من الصحة، وهو يواصل مع طاقم العمل تصوير المسلسل، مبيناً أنه قد بدأ بمونتاج الجزء الأول منه بعد أن صور نسبة كبيرة من مشاهده.

والكندوش من تأليف حسام تحسين بيك وإخراج سمير حسين ويضم في قائمة أبطاله عدداً كبيراً من نجوم الدراما السورية وهم: أيمن زيدان، سلاف فواخرجي، كندا حنا، شكران مرتجى، صباح الجزائري، سامية الجزائري، أيمن رضا، حسام تحسين بيك، محمد حداقي، أندريه سكاف، نزار أبو حجر، همام رضا، رضوان عقيلي، تيسير إدريس، أمانة والي، شادي زيدان، وضاح حلوم، هافال حمدي، خالد شباط، حازم زيدان، عبد الفتاح المزين، جمال العلي، فاتح سلمان، ومجموعة كبيرة من الممثلين الشباب.

والعمل بيئي شامي مكون من ستين حلقة، يعرض على مرحلتين، الأولى في موسم رمضان القادم والثانية في رمضان الذي يليه، وتدور أغلب أحداثه بين عامي ١٩٣٨ و١٩٤٠، ويعالج الكثير من القضايا بطريقة جديدة، إضافة إلى وجود عنصر الأغنية التي تخدم الكثير من الأفكار.

واقتبس المؤلف اسم العمل الذي يعني خزان المؤن من حبوب وغيرها من البيئة الشامية، ويأتي على شكل وعاء، طوله متران ونصف المتر، وطول أضلاعه متر، وله فتحة من الخشب في سقف الوعاء، تأخذ من خلالها صاحبة البيت رطل الطحين أو أي نوع من الحبوب، لتصنع منه طعاما لعائلتها.

برجك اليوم 2/8

نجلاء قباني

الحمل

لاحظ أنك تثير غيرة من حولك ومن الطبيعي أن تجد أحياناً أشخاصاً يعادونك أو يعرقلون مشاريعك فحاول أن تتخطى أي حدث صغير أو نقاش حاد ولا تضخم الأمور الصغيرة.

عاطفياً حاول أن تكون متكتماً اليوم في علاقاتك العاطفية واحذر التشكيك والغيرة.

الثور

لا تتخذ قرارات بمفردك بل اسأل أو استشر واستمع لمن حولك واسمح لهم بالتدخل إيجابياً لمصلحتك فأنت تصادف ظروفاً ممتازة للتعويض عما فاتك أو لفتح باب جديد وخاصة أنك متفائل.

عاطفياً كل ما عليك فعله هو استحضار كل اللطف الموجود داخلك ومد يديك لإعادة السلام إلى حياتك.

الجوزاء

استفد من الحب الموجود حولك واطلب المساعدات من أصدقائك واجعل تأثير الحب الجيد عليك يؤثر على أمورك العائلية فاليوم للمساعدات وللود وللرعاية من الآخرين.

عاطفياً يوم سيحمل لك المصالحات أو التوافق وستكون أكثر نشاطاً وملبياً بالرقة والدبلوماسية.

السرطان

أنت نافد الصبر وعصبي أكثر من اللازم وقد تنتابك الحساسية من مواضيع صغيرة.. تضخمها فلا تدخل في نقاشات غير مجدية أو تحتج على سوء المعاملة فأي شيء تستطيع تحمله اقبله بصمت.

عاطفياً انتبه إلى صحتك ولا تصدق كل ما يقال ولا تقدم وعوداً لا تستطيع الوفاء بها.

الأسد

اقتصر بجهودك على الضروري أي حاول بذل الجهود في أمور ضرورية وابتعد عن عدم المسؤولية أو الاستهتار فالعمل كثير وكل الوقت الذي تحتاجه للراحة ستهلكه في أمور عائلية منزلية.

عاطفياً تكلم عن مشاعرك وعن ألمك لمن تثق به فاليوم للحلول أو للمصالحات.

العذراء

اليوم جيد ليعطيك الكلمة العليا مع من حولك فتصبح أكثر تعبيراً عن نفسك بصراحة وتمتلك إمكانيات جيدة للتقدم وتصبح مواهبك على المحك فتراها حولك على كل لسان.

عاطفياً ستصبح قادراً على وضع النقاط على الحروف في أغلب علاقاتك التي يشوبها الفوضى.

الميزان

حل مشاكلك الشخصية أولاً لتستطيع أن تسيطر على أمورك العملية لأنها تؤثر عليها وفكر بهدوء بعيداً عن التعقيدات ولا تفاجأ إذا توصلت لقرار مهم ولكن استشر وانتظر قليلاً.

عاطفياً قد تسير إلى تسوية قضية أو مواجهة سببت لك الإزعاج والإحراج.

العقرب

تشعر اليوم بالأمان على صعيد العاطفة والأعمال والسبب عائلي أو شخصي فالكواكب الموجودة في بيت الاتصالات تدعم طموحاتك وتجعلك تحت الأضواء.

عاطفياً أنت تلتقط الفرص وبسرعة وتفتح قلبك وعقلك لكل ما هو مختلف وحديث وحضاري.

القوس

أنت تشعر بالأمان المستقبلي وتحاول ترتيب أوضاعك المالية ولكن لا تضيع أموالك فربما تعاني اليوم من ضيق مالي يجعلك تندم على إسرافك وتفريطك فانتبه للمال.

عاطفياً أنت مشغول باتصالات لتحسين وضعك وخاصة أنك في فترة جيدة للتعارف وللعلاقات.

الجدي

أنت تفتح عدداً من الملفات الذي توصلك إلى إيجابيات وغالباً أنت تغير حياتك مبعداً المناوئين والمنافسين متمسكاً بالصدارة ومقنعاً رؤساءك بمواهبك ومهاراتك وخاصة إذا استعملت حظوظك السعيدة بهدوء.

عاطفياً تضامن المحيط مع أوضاعك العاطفية يؤهلك لشرح وجهة نظرك والتأثير في محيطك.

الدلو

لا تأخذ مواقف عنيفة نتيجة غيرة أو إحساس بالخيانة ممن حولك فقد تسمع كلاماً يقال عن لسانك منقولاً بطريقة سيئة أو تشعر أن الغيرة تفرض على حياتك فكن هادئاً.

عاطفياً أنت تكره الاستغلال لكنك اليوم تشعر بأنك مستغل ولكن قد يكون إحساسك وهماً.

الحوت

يشعر الأصدقاء بالرغبة في البقاء إلى جانبك بسبب إشراقك وتفاؤلك وقد تزور أو تزار وهذا يجعلك تقضي الكثير من اللقاءات المتعددة والأوقات المسلية مع الأصدقاء أو الأهل.

عاطفياً قد تتلقى دعوات أو تدعى إلى مناسبات أو تسعد للقاء مهم تتعرف فيه على غرباء.